عندما قالت أصيلة هانم لفاروق: إنت واطى .. ودوت .. !

وما حدث فى نفس اليوم الذى قامت فيه ثورة ٢٣يوليو سنة١٩٥٢؟

كانت زوجتي وأولادي فى الإسكندرية.

وعندما تأزم الموقف، وقام الجيش بمحاصرة قصر رأس التين فى ٢٦ يوليو سنة١٩٥٢، قررت أن أنام فى القصر، ولكن الملك أمرني بأن أعود إلى بيتي.

وحاولت إقناع الملك حتى يسمح لى بأن أبقى إلى جاوره، ولكنه أصر على رأيه، وهو يطلب إلى أن أترك القصر.

قال لى: روح لمراتك وأولادك.

وتركت قصر رأس التين، وكانت آخر مرة أرى فيها فاروق.

ومرت الأيام بعد أن حملته السفينة المحروسة التى أصبح اسمها الآن (الحرية) مع ناريمان إلى إيطاليا بعد أن وقع وثيقة تنازله عن العرش.

ومما سمعته من ناريمان بعد أن طلقت من فاروق وعودتها من إيطاليا، أن حديثا دار بينها وبين فاروق على ظهر السفينة المحروسة.

قالت له ناريمان: ياخساره.. لو كنت خليت عمى مصطفى إستني فى قصر رأس التين، مش كان سافر معانا.

وأطرق فاروق قليلا، وكان فى أشد حالات الحزن بعد طرده من مصر، ثم ابتسم وهو يقول لها:

- هو أنا عارف إن كنا حنقدر نصرف على أنفسنا لما عاوزاني كمان أصرف عليه.

كان هذا هو رده على ناريمان، وقد تعمد أن يقول لها هذا الكلام أمام ضباط السفينة المحروسة متصورا أن فى وسعه أن يثير عطف هؤلاء الضباط وشفقتهم عليه.

ولكن فاروق كان فى نفس الوقت مطمئنا فقد هرّب جانبا كبيرا من ثروته إلى الخارج، وكان شعوره دائما بأن عليه أن يتأهب لمواجهة ثورة الشعب والجيش ضده.

وأنا على يقين بأنه كان يعرف تماما عندما حملته الباخرة المحروسة إنه لن يعود مرة أخرى إلى العرش.

* * *

قررت بعد تنازل فاروق عن العرش أن أعود إلى عملي.

كان على أن أعيش كمواطن عادى، ولم يكن يهمني كثيرا أن أبدأ من جديد. أي من الصفر كما يقول المثل..

وكان أن ذهبت إلى مكتبي فى شركة (سعيدة) للطيران، ثم أخذت فى مباشرة عملي فى هدوء.

وجاءني فى تلك الأيام رجل لا أعرفه، وطلب مقابلتي، ولما استقبلته قال لى وهو يكاد أن يهمس فى أذنى... أن لديه معلومات أكيدة بأن جماعة من الشبان قد كلفوا بالسفر إلى كابرى لاغتيال فاروق وناريمان.

ولم أتمالك نفسى من الانزعاج، فقد خشيت أن تذهب ناريمان ضحية بريئة فى قصة فاروق.

وكان أن أمسكت بسماعة التليفون، ثم قمت بالاتصال بأصيلة هانم والدة ناريمان.

قلت لها بعد أن نقلت إليها تفاصيل ما سمعته من الرجل من معلومات:

- إعملي معروف متكلميش حد فى الموضوع ده حتى أقوم بالاتصال بالمسئولين لمعرفة أصل الحكاية.

ولكن أصيلة هانم لم تسمع النصيحة، وكان أن أخذت تتصرف من تلقاء نفسها.

وكان أن قامت بالاتصال بعلى ماهر(باشا) رئيس الوزراء فى تلك الأيام.. أي بعد الثورة، وقالت له، وهى تكاد تصرخ فى سماعة التليفون:

- إلحق فيه جماعة من الشبان حتسافر إلى كابرى علشان يقتلوا ناريمان. وكان طبيعيا أن يسألها رئيس الوزراء:

- من قال لك الحكاية ديه؟

قالت له:

- واحد زار مصطفى صادق فى المكتب وحذره من الموضوع ده.

وكان طبيعيا أن يهتم على ماهر بالموضوع، وأذكر أن أحد رجال المباحث قد زارنى فى اليوم التالي ليستفسر منى عن تفاصيل القصة التى سمعتها من الرجل الذى لم يسبق لى أن قابلته.

وجاء فى نفس الوقت عثمان خليل وكان مديرا للجيزة إلى مكتبي ليباشر بنفسه تحقيقا طويلا معى.

وكان طبيعيا أن أروى له كل ما سمعته من الرجل..

فاروق يضرب ناريمان:

ولا يعرف كثيرون أن ناريمان كانت تتصل فى كل يوم تليفونيا بوالدتها أصيلة هانم فى القاهرة منذ وصولها مع فاروق إلى كابرى.

ولم يكن رجال الثورة يعترضون على تلك المكالمات التليفونية.

كانوا يراقبونها فى صمت، ويكتفون بتسجيليها باعتبارها مكالمات خارجية.

ومرت عدة أسابيع ثم أنتقل فاروق من كابرى إلى روما.

وفى روما بدأت متاعب ناريمان ومشاحناتها معه..

وكان طبيعيا أن تأخذ اتصالات ناريمان مع والدتها أصيلة هانم فى التليفون لونا آخر.

كانت ناريمان تبكى وتتوسل إلى أمها أن تعمل على إنقاذها.

وفى إحدى المرات قالت لأمها:

- أنا بموت.. فاروق حيقتلنى.

وأرسلت ناريمان فى تلك الأيام رسالة إلى والدتها تقول لها فيها بالحرف الواحد:

- أنا مش طايقة أقعد دقيقة واحدة فى إيطاليا، فاروق بيضربني وبيطول أيده وحكايته زادت.. وقد وصلت به درجة الهوس

أنه يعزمنى معاه فى إحدى السهرات.. وبعدين يسيبنى لوحدى ويقعد مع أرتيست فى الطرابيزة إللي أمامى.

* * *

وروت ناريمان فى رسالة أخرى كيف أنها ذهبت لتناول العشاء مع فاروق فى أحد الكازينوهات فى روما، وفجأة تركها فاروق لتجلس وحدها، ثم ذهب بحجة أنه يريد أن يقابل أحد أصدقائه.. قال لها إنه لن يغيب عنها أكثر من خمس دقائق.

ومرت نصف ساعة ولم يعد فاروق، ثم مرت ساعة كاملة.. ولم يعد أيضا وقامت ناريمان من مكانها لتذهب إلى دورة المياه، وكانت المفاجأة عندما رأت فاروق جاسا فى البار، وكان يحتضن إحدى الغانيات الإيطاليات وثارت ناريمان فى وجه فاروق، وكادت أن تسبب له فضيحة.

ولكن فجأة أنهارت أعصابها لتسقط على الأرض مغشيا عليها.

وأضطر فاروق لأن يحمل ناريمان بين يديه، ثم يقوم بنقلها فى سيارته إلى البيت وهى فى أشد حالات الإعياء والانهيار العصبي.

شروط فاروق للطلاق:

ولم تنتظر أصيلة هانم، وبادرت بحمل رسائل ناريمان، ثم ذهبت بها إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة.

قالت لهم.. أن فاروق سيقتل إبنتها، وأنها تريدها أن تعود من إيطاليا بأى ثمن.

وطلبت إليهم أن يصرحوا لها بالسفر إلى روما لإنقاذ ناريمان من براثن فاروق.

ولم يمانع المسئولون فى مجلس قيادة الثورة، وكان أن واقفوا على منح أصيلة هانم التصريح المطلوب لتسافر إلى إيطاليا.

وفى روما صدمت الأم بمنظر ابنتها.

كانت هزيلة، وقد شحب لونها..

وعرفت أن إبنتها الوحيدة قد فقدت ما يزيد على العشرة كيلو جرامات من وزنها فى أقل من شهرين.

وأمسكت أصيلة هانم بخناق فاروق.

قالت له: أنت واطى.. ودون.. وعمرك ما بتعرف الأصول.. وعلشان كده أنا عاوزه بنتي معايا.

وقال لها فاروق: ما فيش مانع بس إسكتى وبلاش فضايح.

ولم تتمالك أصيلة هانم نفسها من الغضب وهى ترد عليه قائلة:

- مش حأسكت إلا إذا أخذت البنت معايا.

- قال لها فاروق:

- أخرسي أنا مش عايزك تدخلي فى شئوني.

ونشبت مشادة كلامية بين الاثنين فرشت أصيلة هانم أثناءها الملاية لفاروق.

وكانت أول مرة يسمع فيها فاروق كلاما لاذعا وقاسيا.

وحاول فاروق أن يسكتها... وهو يقول لها متوسلا:

- ياستى إعملي معروف بلاش فضايح وزعيق.

قالت له: بقى حصل اللى حصل وأنت أخذت البنت معاك علشان تبهدلها فى الغربة.. الحق عليها اللى سفرت معاك.. وواحدة غيرها كانت سابتك وقعدت فى بلدها.

قال لها: هو أنا عملت إيه؟

قالت له بالحرف الواحد:

- ولا حاجه.. ياسى فاروق، كان ناقص تعلقها من شعرها وتنزل فيها ضرب، كفاية إنك ضربتها قلمين..

* * *

كانت أول مرة تنادى أصيلة هانم فاروق باسمه مجردا من كل لقب.. ولم تكتف بذلك، وقالت له: ياسى فاروق.. وأسرع، هو يرد عليها قائلا:

- إسكتى أحسن لك.

ثم إلتفت ناحية ناريمان.. وقال لها:

- خلى الولية أمك تسكت، أحسن أوريها شغلها.

ولم تسكت أصيلة هانم، واستمرت تقول له:

- عاوزه البنت.. حأخذها معايا.

قال لها: خديها.. وروحي أنت وهيه فى داهية.

ولم تنتظر ناريمان، وبادرت بالتوجه إلى حجرتها حيث أخذت تجمع حاجاتها فى حقائبها.

وفجأة إنفجرت تبكى بحرقة... كانت تريد أن تبقى بجانب فاروق.

كانت تحبه فعلا، ولكنها كانت تكره فيه معاملته السيئة لها بالدرجة التى كانت تثير فيها الرغبة للهروب من الحياة إلى جانبه.

ولكن أصيلة هانم ظلت تلاحقها، وهى تدفعها للإسراع فى تجهيز حقائبها كانت تقول لها: أنت بتعيطى على إيه.. شدي حيلك بسرعة علشان تهربي بعمرك قبل ما يغير رأيه.

* * *

أسرعت ناريمان تعد حقائبها.

كانت تبكى وتولول لأن فاروق قال لها: روحي أنت وأمك فى داهية.

وعرف فاروق أنها تبكى فتوجه إلى حجرتها الخاصة حيث إستلقي على سريره حتى يمثل أمامها دور عدم المهتم بهجرتها له.

ولكنه لم يبق فى حجرتها طويلا، فقد خرج فجأة من حجرته ليقول لناريمان، وكانت قد فرغت من إعداد حقائبها:

- مش حاتخرجى من هنا، فاهمة.

وأنبرت أصيلة هانم تتدخل فى الموقف وهى تقول له:

- يعنى إيه الكلام ده ياسى فاروق؟

قال لها: علشان تمشى لازم تنسى أنها كانت مراتى فى يوم من الأيام، وتنسى كمان أن لها إبن منى.. ده ابنى مش أبنها.

كان تصوره أن فى وسعه أن يمنع ناريمان من أن تهجره بفرض مثل ذلك الشرط القاسي عليها.

وأدمعت عينا ناريمان وهى تقول لفاروق:

- يعنى مش عايزنى أشوفه قبل ما أسافر.

قال لها: ولا ده كمان.. تمشى من غير ما تشوفيه.

وأضطرت ناريمان لأن تترك الفيلا التى كانت تعيش فيها مع فاروق فى ضواحي روما دون أن تودع أبنها.

الأمير أحمد فؤاد الابن الأول للملكة ناريمان يقف أمام صورة لجده الملك فؤاد وجدته الملكة نازلي.

* * *

إن آخر ما كان يتصوره فاروق هو أن تهجره ناريمان.

وفى رأيى أنه كان يريدها أن تبقى إلى جانبه فى المنفى، ولكنه إضطر لأن يخضع ولأن يسمح لها بالسفر تخلصا من أصيلة هانم التى كانت تسبه وتشتمه بأقذع الألفاظ.

وحاولت ناريمان أن تتوسل إليه قبل أن تغادر الفيلا ليسمح لها بأن ترى أبنها ، ولو لدقيقة واحدة. وهى تقول له:

- عاوزه أبوسه بوسه واحدة.. إعمل معروف.

ورفض فاروق بعناد وهو يقول لها:

- أنا قلت كلمة واحدة.. مادام حتسافرى مستحيل تشوفيه

وتسللت ناريمان إلى حجرتها لتدس فى إحدى حقائبها صورة كبيرة لأبنها كما أخذت معها قطعة صغيرة من ملابسه..

كانت عبارة عن بافته حريرية..

وقد ظلت ناريمان تحتفظ بهذه (البافته) بصفة دائمة فى حقيبة يدها حتى إلتقت بأبنها بعد أن أصبح شابا كبيرا .

وبعد وفاة فاروق!.

* * *

ناريمان تطفئ شمعة واحدة فى الاحتفال الوحيد والأخير
الذى اشتركت فيه بعيد ميلاد ابنها قبل طلاقها من فاروق!